

مفاهيم القرآن

(255) سريان الشعور في الجمادات تحدّث الآيات القرآنية عن هذه الحقيقة بنحو ما ، وراحت تنسب أفعالاّ إلى (الجمادات) تقترن بالشعور وتثبت الإدراك لها . فالقرآن الكريم يرى أن " سقوط بعض الصخور من نقطة ما إنّما هو نتيجة خوفها من الله وخشيتها منه تعالى إذ يقول: (وَإِنَّ مَذْهَبَ لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) . (1) نعم ربما يحتمل أن " المراد من قوله تعالى: (وَإِنَّ مَنِهَا (مِنْ الْحَجَارَةِ) لَمَّا يَهْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ...) هو التعبير عن شدّة قسوة قلوب اليهود ، بشهادة أن " من الحجارة ما تتفجّر منه الأنهار ، دون قلوبهم ، وإن " من الحجارة ما يهبط من خشية الله دونها ، وعند ذاك لا تصلح الآية للاستدلال على سريان الشعور في الموجودات عامّة . غير أن " هذا الاحتمال لا يضر بما ذهبنا إليه ، فإنّ " التعبير عن شدّة قسوة قلوبهم يجتمع مع دلالة الآية على سريان الشعور في عامّة الموجودات ، فإنّ " الآية أثبتت للحجارة صفتين: التفجّر ، والهبوط من خشية الله . فكما أن " التفجّر أمر حقيقي لها ، فكذلك الهبوط من خشية الله أمر حقيقي لها ، ومع ذلك تدلّ على شدّة قسوة قلوبهم . وفي آية أخرى يخبر القرآن الكريم عن قضية عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، وامتناع هذه الأشياء عن حملها خشية و إشفاقاً فيقول: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا _____ 1 . البقرة: 74 .